

أضواء البيان

@ 58 @ .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ } الظاهر أن ضمير الخطاب في قوله { يَذْرُؤُكُمْ } شامل للآدميين والأنعام ، وتغليب الآدميين على الأنعام في ضمير المخاطبين في قوله : يذركم واضح لا إشكال فيه . .

والتحقيق إن شاء الله أن الضمير في قوله : (فيه) راجع إلى ما ذكر من الذكور والإناث ، من بني آدم والأنعام في قوله تعالى : { جَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْإِنثَاءِ أَنْفُسًا يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ لِكُلِّ فِتْيَانٍ مِنَ الْفِتْيَانِ إِناثًا مِمَّنْ يَدْرُؤُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَوْمَ يَعْلَمُونَ } . .

وإذا كان ذلك كذلك ، فمعنى الآية الكريمة يذركم أي يخلقكم ويبتكم وينشركم فيه ، أي فيما ذكر من الذكور والإناث ، أي في ضمنه ، عن طريق التناسل كما هو معروف . . ويوضح ذلك في قوله تعالى : { اتَّخَذُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ خَلْقَ كَوْمٍ مِّنْ نَّسَائِهِمْ بَعْضَ الْبَعْضِ وَكَانُوا مُسِيئِينَ } . .

فإن قيل : ما وجه إفراد الضمير المجرور في قوله يذركم فيه ، مع أنه على ما ذكرتم ، عائد إلى الذكور والإناث من الآدميين والأنعام ؟ .

فالجواب : أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، رجوع الضمير أو الإشارة بصيغة الإفراد إلى مثنى أو مجموع باعتبار ما ذكر مثلاً . .

ومثاله في الضمير : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَنَسَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ لَّيْلِ لَّيْلٍ وَسَحَبَ قُلُوبَكُمْ وَأَعْبَدُوا إِلَّا للهِ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمُ الْغَيْبُ بِغَنَابَةٍ قَلِيلٍ وَأَنْتُمْ عَلَيْهَا قَائِمُونَ } . .

فجاءت في قوله : { يَأْتِيكُمُ الْغَيْبُ بِغَنَابَةٍ قَلِيلٍ وَأَنْتُمْ عَلَيْهَا قَائِمُونَ } أي بما ذكر من سمعكم وأبصاركم وقلوبكم ، ومن هذا المعنى قول رؤية بن العجاج : { يَأْتِيكُمُ الْغَيْبُ بِغَنَابَةٍ قَلِيلٍ وَأَنْتُمْ عَلَيْهَا قَائِمُونَ } . .

فقوله : كأنه أي ما ذكر من خطوط من سواد وبلق .

